جواهر البلاغة

في

المعاني والبيان والبديع

تأليف

احمد الهاشمي

سرشناسه : هاشمی، احمد، ۱۸۷۸ - ۱۹۴۶.
Hashimi, Ahmad
عنوان و نام پدیدآور : جواهر البلاغه فی المعانی و البیان والبدیع / تألیف احمد بن ابراهیم بن مصطفی الهاشمی الأزهری المصری؛ مع تعلیقات نجوی انیس ضو.
مشخصات نشر : قم : دارالفکر، ۱۳۸۶.
مشخصات ظاهری : ۳۶۴ ص.
شابک : ۳۲۰۰۰ ریال 978-964-2611-31-7
وضعیت فهرست‌نویسی : فیپا
یادداشت : عربی. (این کتاب در سال‌های مختلف توسط ناشران متفاوت منتشر شده است).
یادداشت : کتابنامه : به صورت زیرنویس.
موضوع : زبان عربی - معانی و بیان.
موضوع : زبان عربی - بدیع.
شناسه افزوده : ضو، نجوی انیس، حاشیه نویس.
رده‌بندی کنگره : ۱۳۸۶ ۹ ج ۲ ه/ PJ ۸۲۰۲۸
رده‌بندی دیویی : ۸۰۸/۰۴۹۲۷
شماره کتابشناسی ملی : ۱۰۷۳۰۵۳

انتشارات دارالفکر

مؤسّس: مرحوم حضرت حجةالاسلام والمسلمین
آقای حاج سید عبدالحمید مولانا(ره)

جواهر البلاغه

مؤلف: احمد هاشمی
ناشر: انتشارات دارالفکر
ناشر همکار: اندیشه مولانا
تصحیح و اعراب: مصطفی نصرالهی
چاپ: قدس، قم
نوبت چاپ: سوم، ۱۳۸۹
شمارگان: ۳۰۰۰ نسخه
قیمت: ۶۰۰۰ تومان

شابک: ۷-۳۱-۲۶۱۱-۹۶۴-۹۷۸ ISBN: 978-964-2611-31-7

انتشارات دارالفکر:
◄ قم، خیابان صفائیه، جنب مدرسهٔ امیرالمؤمنین علیه السلام، پلاک ۶۳۶
تلفن: ۷۷۴۳۵ ٤٤ - ۷۷۳۳٦٤٥ - فاکس: ۷۷۳۸۸۱٤
◄ تهران - خیابان انقلاب، خیابان ۱۲ فروردین، خیابان شهدای ژاندارمری
روبروی اداره پست، پلاک ۱۲٤ - تلفن ٦٦٤٠٨٩٢٧ - ٦٦٤٠٩٣٥٢ - فکس ٦٦٩٧٧٦٢٠

کلیه حقوق برای ناشر محفوظ است.

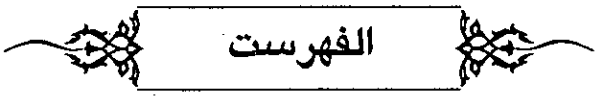

الفهرست

تمهيد ٢١

مقدمة : في معرفة الفصاحة و البلاغة ٢٣

الفصاحة ٢٣

فصاحة الكلمة ٢٤

والغرابة قسمان ٢٦

تطبيق ٢٩

تمرين (الف) ٣٣

تمرين (ب) ٣٣

تمرين ٣٤

تطبيـق ٣٥

تدريب (١) ٣٧

تدريب (٢) ٣٧

فصاحة الكلام ٣٨

تطبيق ٤٣
أسئلـة على الفصاحة يطلب أجوبتها ٤٨
البـلاغـة ٤٨
بلاغة الكلام ٤٩
بلاغـة المتكـلّم ٥١
أقوال ذوي النّبوغ و العبقريّة في البلاغة ٥٢
تمرين ٥٦
ملاحظات ٥٧
أسباب و نتائج ٥٨
و أنواع الأساليب ثلاثة ٥٨
١ـ الأسلوب العلمي ٥٨
٢ـ الأسلوب الأدبي ٥٩
٣ـ الأسلوب الخطابي ٥٩
علم المعاني ٦١
تعريف علم المعاني، و موضوعه، و واضعه ٦٢

الباب الأوّل

في تقسيم الكلام إلى خبر و إنشاء

المبحث الأوّل: في حقيقة الخبر ٦٨
المقاصد و الأغراض الّتي من أجلها يلقى الخبر ٦٩
تمرين ٧٠
المبحث الثّاني: في كيفيّة إلقاء المتكلّم الخبر للمخاطب ٧٢
تنبيهات ٧٤
تدريب ٧٧

نموذج في بيان مقاصد و أغراض الأخبار ٧٨
تطبيق (أ) ٧٩
تمرين ٨٢
تطبيق ٨٤
المبحث الثّالث: في تقسيم الخبر إلى جملةٍ فعليّةٍ و جملةٍ إسميّةٍ ٨٥
أسئلة يطلب أجوبتها ٨٧
تدريب ٨٧

الباب الثّاني
في حقيقة الإنشاء و تقسيمه

في حقيقة الإنشاء و تقسيمه ٨٩
المبحث الأوّل: في الأمر ٩١
تمرين ٩٣
نموذج ٩٥
أسئلة على الإنشاء يطلب أجوبتها ٩٦
المبحث الثّاني: في النّهي ٩٦
تطبيق ٩٧
المبحث الثّالث: في الاستفهام ٩٩
١ـ الهمزة ٩٩
٢ـ هل ١٠١
تنبيهات ١٠٢
ما و من ١٠٤
متى وأيّان ١٠٤
كيف و أين و أنّى و كم و أي ١٠٥

تطبيق ١٠٨
أسئلة على الاستفهام يطلب أجوبتها ١١٠
تمرين ١١٠
تمرين ١١٣
المبحث الرّابع: في التّمنّي ١١٥
تمرين ١١٦
المبحث الخامس: في النّداء ١١٧
تمرين ١١٩
تنبيهات ١٢١
تطبيق ١٢٣
تطبيق آخر ١٢٤
تدريب ١٢٤
تمرين ١٢٥
أسئلة يطلب أجوبتها ١٢٦
تطبيق عامّ على الباب الثّاني ١٢٧

ألباب الثّالث

في أحوال المسند إليه

المبحث الأوّل: في ذكر المسند إليه ١٣٠
المبحث الثّاني: في حذف المسند إليه ١٣٢
تدريب ١٣٤
تطبيق ١٣٥
المبحث الثّالث: في تعريف المسند إليه ١٣٧
المبحث الرّابع: في تعريف المسند إليه بالإضمار ١٣٨
تنبيهات ١٣٩

المبحث الخامس: في تعريف المسند إليه بالعلميّة ١٤٠
المبحث السّادس: في تعريف المسند إليه بالإشارة ١٤١
المبحث السّابع: في تعريف المسند إليه بالموصوليّة ١٤٢
المبحث الثّامن: في تعريف المسند إليه بأل ١٤٤
أل العهديّة ١٤٤
أل الجنسية ١٤٥
تنبيهات ١٤٦
المبحث التّاسع: في تعريف المسندإليه بالإضافة ١٤٧
المبحث العاشر: في تعريف المسند إليه بالنّداء ١٤٩
المبحث الحادي عشر: في تنكير المسندإليه ١٤٩
المبحث الثاني عشر: في تقديم المسندإليه ١٥١
تمرين ١٥٤
المبحث الثّالث عشر: في تأخير المسندإليه ١٥٦
تطبيق عامّ على أحوال المسند إليه و ما قبله ١٥٦
أسئلة على أحوال المسند إليه يطلب أجوبتها ١٥٩

الباب الرّابع
في المسند و أحواله

المبحث الأوّل: في ذكر المسند أو حذفه ١٦٠
تمرين ١٦٢
تدريب ١٦٣
تمرين ١٦٤
المبحث الثّاني: في تعريف المسند أو تنكيره ١٦٥
تعريف المسند ١٦٥

المبحث الثّالث: في تقديم المسند أو تأخيره ١٦٦
خـاتمـة ١٦٧
تمرين ١٦٨
تطبيق عامٌّ على أحوال المسند ١٦٩
أسئلة على أحوال المسند يطلب أجوبتها ١٧٠

الباب الخامس
في الإطلاق و التّقييد

في الإطلاق و التّقييد ١٧١
المبحث الأوّل: في التّقييد بالنّعت ١٧٢
المبحث الثّاني: في التّقييد بالتّوكيد ١٧٣
المبحث الثّالث: في التّقييد بعطف البيان ١٧٣
المبحث الرّابع: في التّقييد بعطف النّسق ١٧٤
المبحث الخامس في التّقييد بالبدل ١٧٥
المبحث السّادس: في التقييد بضمير الفصل ١٧٥
المبحث السّابع: في التقييد بالنّواسخ ١٧٦
المبحث الثّامن: في التّقييد بالشّرط ١٧٧
الفرق بين «إن، و إذا، ولو» ١٧٧
تنبيهات ١٧٨
المبحث التّاسع: في التّقييد بالنّفي ١٨١
المبحث العاشر: في التّقييد بالمفاعيل الخمسة و نحوها ١٨١
تنبيهات ١٨٢
تطبيق عامٌّ على الإطلاق و التّقييد ١٨٤
أسئلة على الإطلاق و التّقييد يطلب أجوبتها ١٨٧

الباب السّادس
في أحوال متعلقات الفعل

في أحوالِ مُتعلَّقاتِ الفِعلِ ١٨٨
تمرين ١٩٠
تمرين آخر ١٩٢
تدريب ١٩٢
تمرين ١٩٣
اختبار للذّاكرة ١٩٣

الباب السّابع
في تعريف القصر

في تَعريفِ القَصرِ ١٩٤
المبحث الأوّل: في طرق القصر ١٩٥
ملاحظات ١٩٧
المبحث الثّاني: في تقسيم القصر باعتبار الحقيقة و الواقع إلى قسمين ١٩٨
تنبيهات ١٩٨
أسباب و نتائج ١٩٩
المبحث الثّالث: في تقسيم القصر باعتبار طرفيه ٢٠٠
المبحث الرّابع: في تقسيم القصر الإضافيّ ٢٠١
تطبيق (١) ٢٠٢
وضّح فيما يلي نوع القصر و طريقه ٢٠٢
تطبيق (٢) ٢٠٤
اختبار للذّاكرة ٢٠٦
تطبيق عمليٌّ ٢٠٧

تمرين آخر ٢٠٨
تطبيق عامٌّ على القصر و أنواعه و الأبواب السّابقة ٢١٠
أسئلة على القصر و أنواعه تطلب أجوبتها ٢١٢

الباب الثّامن
في الوصل و الفصل

تمهيد ٢١٣
تعريف الوصل و الفصل في حدود البلاغة ٢١٣
بلاغة الوصل ٢١٥
المبحث الأوّل: في إجمال مواضع الوصل ٢١٦
تمرين ٢١٨
تمرين اخر ٢٢٠
المبحث الثّاني: في مجمل مواضع الفصل ٢٢٢
المبحث الثّالث: في تفصيل مواضع الفصل الخمسة السّابقة ٢٢٣
تنبيهان ٢٢٧
تمرين آخر ٢٣١
أسئلة على الوصل و الفصل يطلب أجوبتها ٢٣٣
تطبيق عامٌّ على الوصل و الفصل ٢٣٣
تمرين ٢٣٤

الباب التّاسع
في الإيجاز، و الإطناب، و المساواة

المبحث الأوّل: في الإيجاز و أقسامه ٢٣٩
المبحث الثّاني: في الإطناب و أقسامه ٢٤٣

المبحث الثّالث: في المساواة ٢٥١
أسئلة على الإيجاز و الإطناب و المساواة ٢٥٢
تطلب أجوبتها ٢٥٢
تطبيق عامٌّ على الإيجاز و الإطناب و المساواة ٢٥٢
تمرين ٢٥٤
خاتمة ٢٥٦

عِلمُ البَيانِ ٢٦١

الباب الأوّل
في التّشبيه

تمهيد ٢٦٤
تعريف التّشبيه و بيان أركانه الأربعة ٢٦٤
و أركان التّشبيه أربعة ٢٦٥
تمرين ٢٦٥
على التّشبيه و بيان أركانه الأربعة ٢٦٥
المبحث الأوّل: في تقسيم طرفي التّشبيه إلى حسّيٍ، و عقليٍّ ٢٦٧
المبحث الثّاني: في تقسيم طرفي التّشبيه باعتبار الإفراد، و التّركيب ٢٦٨
المبحث الثّالث: في تقسيم طرفي التّشبيه باعتبار تعدّدهما ٢٧٠
تمرين ٢٧٢
ملخّص القول ٢٧٣
في تقسيم طرفي التّشبيه ٢٧٣
المبحث الرّابع: في تقسيم التّشبيه باعتبار وجه الشّبه ٢٧٨
تمرين ٢٨٢
المبحث الخامس: في تشبيه التّمثيل ٢٨٣

مواقع تشبيه التّمثيل ٢٨٤
تأثير تشبيه التمثيل في النّفس ٢٨٥
المبحث السّادس: في أدوات التّشبيه ٢٨٦
المبحث السّابع: في تقسيم التّشبيه باعتبار أداته ٢٨٧
المبحث الثّامن: في فوائد التّشبيه ٢٨٩
تشبيه على غير طرقه الأصليّة ٢٩٢
التّشبيه الضّمني ٢٩٢
التّشبيه المقلوب ٢٩٣
المبحث الثّامن: في تقسيم التّشبيه باعتبار الغرض إلى مقبولٍ و إلى مردودٍ ٢٩٤
تنبيهات ٢٩٥
أسئلة تطلب أجوبتها ٢٩٧
تطبيق عامّ على أنواع التّشبيه ٢٩٧
تمرين ٢٩٩
تمرين آخر ٣٠٠
بلاغة التّشبيه ٣٠٧
و بعض ما أثر منه عن العرب و المحدّثين ٣٠٧

الباب الثّاني
في المجاز

المبحث الأوّل: في تعريف المجاز و أنواعه ٣١٢
المبحث الثّاني: في المجاز اللّغوي المفرد المرسل و علاقاته ٣١٣
المبحث الثّالث: في تعريف المجاز العقلي و علاقاته ٣١٧
أشهر علاقات المجاز العقلي ٣١٧
تنبيهات ٣١٨

تطبيق على أشهر علاقات المجاز العام ٣١٩
الإجـابـة ٣١٩
نموذج آخر ٣٢٠
بلاغة المجاز المرسل و المجاز العقليّ ٣٢١
المبحث الرّابع: في المجاز المفرد بالاستعارة ٣٢٢
تمهيد ٣٢٢
تعريف الاستعارة و بيان أنواعها ٣٢٤
المبحث الخامس: في تقسيم الاستعارة باعتبار ما يذكر من الطّرفين ٣٢٥
المبحث السّادس: في الاستعارة باعتبار الطّرفين ٣٢٨
المبحث السّابع: في الاستعارة باعتبار اللّفظ المستعار ٣٢٩
تنبيهات عشرة ٣٣٣
المبحث الثّامن: في تقسيم الاستعارة المصرّحة باعتبار الطّرفين إلى عناديّةٍ و وفاقيّةٍ ٣٤٣
المبحث التّاسع: في تقسيم الاستعارة باعتبار الجامع ٣٤٤
المبحث العاشر: في تَقسيمِ الإستعارَةِ بِاعتبارِ ما يَتَّصِلُ بِها مِنَ المُلاءِماتِ، وَ عَدَمِ اتِّصالِها ٣٤٧
المبحث الحادي عشر: في المجاز المرسل المركّب ٣٤٨
المبحث الثّاني عشر: في المجاز المركّب بالاستعارة التّمثيليّة ٣٥٠
أسئلة على الاستعارة يطلب أجوبتها ٣٥٤
تمرين آخر على كيفيّة إجراء الاستعارات ٣٥٥
بلاغة الاستعارة بجميع أنواعها ٣٥٨

الباب الثّالث

في الكناية و تعريفها و أنواعها

في الكناية و تعريفها و أنواعها ٣٦١
تمرين ٣٦٧

تمرين آخر ٣٦٩
بلاغة الكناية ٣٧٠
أثر علم البيان في تأدية المعاني ٣٧٣

علم البديع ٣٧٧

الباب الأوّل

في المحسنات المعنوية

(١) التّورية ٣٧٩
(٢) الاستخدام ٣٨١
(٣) الاستطراد ٣٨٢
(٤) الافتنان ٣٨٣
(٥) الطباق ٣٨٣
(٦) المقابلة ٣٨٥
(٧) مراعاة النّظير ٣٨٦
(٨) الإرْصاد ٣٨٧
(٩) الإدْماج ٣٨٧
(١٠) المذهب الكلاميّ ٣٨٨
(١١) حسن التّعليل ٣٨٨
(١٢) التّجريد ٣٩٢
(١٣) المشاكلة ٣٩٤
(١٤) المزاوجة ٣٩٤
(١٥) الطّي و النّشر ٣٩٥
(١٦) الجمع ٣٩٦
(١٧) التّفريق ٣٩٧

تمرين (الف)

١ ـ فَرِّقْ بَينَ التَّنافرِ في الكلمةِ، و في الكَلامِ، واذْكُرِ السَّببَ.

٢ ـ أُذكُرْ مِثالاً لِلتَّعقيدِ اللَّفظي، وَ بَيِّنْ سَببَ هذا التَّعقيدِ، ثم أزِلْهُ.

٣ ـ قَد يُلازِمُ تَنافُرُ الحُروفِ الغَرابةَ، وَ قَد تَنفَردُ الغَرابةُ عَن التَّنافُرِ، وَضِّحْ ذلك بِأمثِلَةٍ مُبتكرةٍ.

٤ ـ كُلُّ كلامٍ بَليغٍ يَكونُ فَصيحاً وَ لا عَكسَ. اَشرَحْ هذِهِ العِبارةَ وَ اسْتشهِدْ عَلَيها بِما يَحضُرُكَ.

تمرين (ب)

مَيِّز الكَلامَ الفَصيحَ من غيرِ الفَصيحِ في كلِّ ما يَأتِي، و بَيِّنْ السَّببَ.

١ ـ كُلَّما قَرُبَتْ النَّفسُ مِن المالِ شِبراً، بَعُدَتْ عَنِ الفَضيلةِ مِيلاً.

٢ ـ شَكتْ امرأةٌ صَمَعْمَعَةُ الرَأسِ[1]، مُتَعَثْكَلَةُ الشَّعرِ، دَرْدَبيساً حَلَّتْ بِها.

٣ ـ نَمْ و إنْ لَم أنَم كَرَايَ كَراكا ... شاهِدِي الدَّمعُ، إنَّ ذلك كَذاكا

[الخفيف]

٤ ـ فَأصبحَتْ بَعدَ خَطِّ بَهجتُها ... كأنَّ قَفراً رُسُومُها قَلَمَا[2]

[المنسرح]

٥ ـ و اِزْوَرَّ مَنْ كانَ لهُ زائراً ... وَعافَ عافِي العُرفِ عِرفانَهُ[3]

[السريع]

---

١. الرأس الصمعمعة: الصغيرة.

٢. الرسوم: آثار الديار.

٣. أزور: أعرض. عاف: كره. وعافي العرف: طالب المعروف.

٦ ـ و أكرمُ مِن غَمَامٍ عِـندَ مَـحلٍّ فـتًى يُـحيِي بـمَدْحتِه الكِـرَامـا[١]

[الوافر]

٧ ـ أَشكُوكَ كُوكَكَ كَيْ يَنُفَّكَ عن كَنَفي ولا يُـنيخُ عَـلَى الرِّكـابِ كَـلْكَلُهُ[٢]

[البسيط]

٨ ـ سَأل كُوفيٌّ خياطاً عن فَرسٍ و مُهرٍ فَقَدَهُما فَقال:

«يا ذَا النِّصاحِ و ذاتَ السَّمِّ الطّاعِنِ بها في غير وَغًى لغير عِداً:

هَل رَأيتَ الخِيفانَةَ القبّاءَ، يَتبعُها الْحاسِنُ المُرْهَفُ[٣]؟»

٩ ـ كَتبَ أحدُهُم لِصَديقهِ يَقولُ.

«يا أَحَبَّ صَواحِبِي و أعْزَزَهم عَليَّ، يُـؤلِمُني أنْ أُصـبحَ مَـقْصُوباً عَـنكَ هـذَا الإقصاي، و أنتَ مِنّي بِمَنزلَةِ الرُّوحِ مِنَ الجَسدِ.»

تمرين

١ ـ أيُّ أجزاءِ هذينِ البيتَينِ غيرُ فَصيحٍ:

أ ـ أصبحتُ كَالثَّوبِ اللّبيسِ قد أخلقَتْ جِـدّاتُـه مـنه فَـعادَ مُـذالاً[٤]

[الكامل]

ب ـ رَمَتْنِي مَيٌّ بِالهَوى رَميَ مُـمْضِغٍ مِن الوَحشِ لَوطٍ لَـمْ تـعقْهُ الأوالس[٥]

[الطويل]

---

١. للمغفور له أحمد شَوْقي. والمحل: الجدب.

٢. أناخ بكلكله. هبط بمقدم صدره. و ينسب البيت للمرحوم الشيخ حمزة فتح‌اللّه.

٣. النصاح: الخيط. و ذات السم: الإبرة. والخيفانة: الفرس الطويلة: والقباء الدقيقة الخصر الضامرة. و الحاسن: الجميل. والمرهف: المستريح.

٤. لابن الرومي، واللبيس: الملبوس و الاخلاق: البلى. والجِدّة: صفة الثوب الجديد: والمذال: الممتهن.

٥. اللوط: الخضيف السريع، و الأوالس: النوق السريعة.

تطبيق

مَا الَّذى أَخَلَّ بِفَصاحةِ الكَلماتِ فِيما يَلي؟

يـا نَـفسُ صَـبراً كُـلُّ حَـيٍّ لاقـي ... و كُـــلُّ أثْـــنينِ إلى افْـتراقِ

[الرجز]

أَبعِدْ بَـعِدْتَ بَـياضاً لا بَـياضَ لَـهُ ... لِأنتَ أسودُ في عَينِي مِنَ الظُّلَمِ[١]

[البسيط]

لأنَشْبَ اليـــــومَ وَ لا خُـــلَّة ... إتَّســـعَ الفـتقُ عـلى الرَّاقِـعِ[٢]

[السريع]

فَأَيــقَنْتُ أَنِــيّ عِــندَ ذلك ثـائِرٌ ... غَداتَئذٍ أو هـالكٌ فـي الهَـوالِكِ[٣]

[الطويل]

مهلاً أعاذِلَ قد جَرَّبْتِ مِـنْ خُـلقي ... أَنّـي أَجـوَدُ لِأقـوامٍ و إن ضَـنِنُوا

[البسيط]

تَشكو الوجى مِن أظْـلَلٍ وَ أَظْـلَلِ ... مِن طُولِ إمـلالٍ وَ ظَـهرٍ مُـمْلِلِ[٤]

[الرجز]

---

١. الظلم: الليالي الثلاث آخر الشهر. و لا بياض له، لا حسن له، قاله المتنبي يخاطب الشيب. و خالف القياس في الأسود لأنه لا يبنى اسم تفضيل من نحو سود و حمر.

٢. الخلة: الصداقة. والفتق: الشق. والراقع مصلح الفتق، و قد خالف القياس في اتسع: حيث قطع همزة الوصل.

٣. هوالك فواعل، لا يطّرد في وصف العاقل كما هنا.

٤. الوجى الحفا: والأظلل باطن خف البعير، و خالف القياس بفك الإدغام.

تنبيهات: الأول من عيوب فصاحة اللفظة المفردة كونها مبتذلة، أي عامية ساقطة كالفالق و الشنطار و نحوهما: والابتذال ضربان:

أ ـ ما استعملته العامة و لم تغيره عن وضعه، فسخف وانحطت رتبته. وأصبح استعماله لدى الخاصة معيباً. كلفظة البرسام في قول المتنبي. [الخفيف].

إنّ بعضاً من القريض هـراء ... ليس شيئاً و بـعضه أحكـام

←

١ ـ و قال ابن جحدر: [المتقارب]

حَـــلَفتُ بـما أرْقَـلَتْ حَـولَهُ ... هَـــمَرْجَلَةٌ خُـــلقُها شَـــيظَمٌ[1]

و مـــا شَـبرَقَتْ مِـــنْ تَـنُوفِيَّةٍ ... بـــها مِـن وَحْـيِ الجِـنِّ زيـزَيزَمَ

[البسيط]

٢ ـ و قال ذو الرُّمة:

حتّى إذَا الْهَيْقُ أمسى شام أفـرُخَهُ ... و هُنَّ لا مُؤيِسُ نَأياً وَ لا كَـثَبُ[2]

و قال أبو نواس:

يـــا مَـــن جَـــفاني و مَـلاَ ... نَســـيتَ أهـــلاً وَ سَـــهَلاً

[المجتث]

→

فيه مـا يـجلب البـراعـةو الفـهم ... و فـيه مـا يـجلب البـرسام

و كلفظة الخازباز في قوله: [الخفيف].

و من الناس من تجوز عليهم ... شـعراء كأنـها الخـازباز

ب ـ ما استعملته العامة دالاً على غير ما وضع له وليس بما لمُستَقبح و لا مكروه كقول المتلمس:

و قد أتناسى الهمّ عِندَ احْـتِضارِه ... بـناج عـليه الصيعرية مكـدم

و كقول أبي نواس: [البسيط].

اخـــتصم الود و الجـمال ... فـيك فـصارا إلى جـدال

فـــقال هـــذا يـمينه لي ... للـعرف و البذل و النـوال

و قـال هـذاك وجـهه لي ... للظرف والحسـن و الكـمال

فـافترقا فـيك عـن تـراض ... كـلاهما صـادق المـقال

فوصف في الاول: البعير بالصيعرية، و هي مختصة بالنوق. و في الثاني: الوجه بالظرف و هو في مختص بالنطق كالفالق والشنطار، و نحوهما.

الثاني: لا تستعمل الألفاظ المبهمة إذا كان غرضك التعيين وإحضار صورة الشيء. أو المعنى المراد في الذهن.

الثالث: لا تستعمل اللفظ المشترك الا مع قرينة تبين المراد من معانيه المشتركة.

١. الإرقال: الاسراع. الهمرجلة: الناقة السريعة. الشيظم: الطَّويلُ الجسيم من الإبل و الخيل. شبرقت: قطعت التنوفية و التنوفة: المفازة. الوحى: الصوت الخفي. زيزيزم: حكاية أصوات الجن.

٢. الهيق: الظليم. (ذكر النعام) شام البرق نظر إليه أين يقصد. و أين يمطر و استعمل هنا للنظر إلى الأفرخ.. النأي: البعد.

تدريبٌ (١)

مَا الَّذي أخلَّ بِفَصاحَةِ الكَلمات فيما يلي؟

١ ـ قال النّابغةُ الذُّبيانيّ [الكامل]

أُودُمـيةٍ مِـن مَـرمَرٍ مَـرفوعةٍ ... بُـنِيَتْ بآجُـرٍّ يُشـادُ بـقَرْمَدِ[١]

٢ ـ و قال أبو تمام: [الكامل]

لك هَضْبَةُ الحِلمِ التي لو وَازَنَتْ ... أجَأَ إذًا ثَـقُلَتْ و كـان خـفيفا

و حَلاوةُ الشِّيمِ الَّتي لو مـازجَتْ ... خُلُقَ الزَّمـانِ الفَـدمِ عَـاد ظَـريفا[٢]

٣ ـ و قال المُتَنبيّ [الوافر]

يُـوَسِّطُه الْـمُفاوِزُ كُـلَّ يَـومٍ ... طِـلابُ الطّـالبينَ لاَ الاِنـتِظارُ

تدريبٌ (٢)

مَا الَّذي أخلَّ بفَصاحةِ الكَلماتِ فيما يَأتي؟

١ ـ لم يَـلقَها إلاّ بِشِكَّـةِ بـاسلٍ ... يخشَى الْحَوادثَ حازمٌ مُسـتَعْدِدُ[٣]

[الكامل]

٢ ـ و أَصبحَ مُبيَضُّ الضَّريبِ كَأَنَّهُ ... على سَرَوات البَيتِ قُطنٌ مُـندِفُ[٤]

[الطويل]

---

١. الدمية: الصورة المنقوشة المزينة فيها حمرة كالدم. تضرب مثلاً في الحسن. المرمر: الرخام. الآجر: ما يبنى به، القرمد بفتح القاف ما يطلى به للزينة. و قيل حجارة لها خروق يوقد عليها فَتَنضج و يبنى بها. و قيل الخزف المطبوخ.

٢. الهضبة: الرابية. أجأ: جبل. الفدم: الغليظ، الجافي، وصف الشيم بالحلاوة و هي خاصة بالعينين، و وصف خلق الزمان بالظرف و هو خاص بالنطق.

٣. الشكة: الخصلة. الباسل: الشجاع.

٤. قائله الفرزدق. الضريب الشبيه و المثيل. سروات البيت. أعاليه مندف مندوف. من قولهم ندف القطن ضربه بالمندف.

٣ ـ فأيْقَنتُ أنّـي عـند ذلك ثـائِرٌ ... غَدَاتَئذٍ أو هَـالِكٌ فِـي الْـهَوالِكِ[١]

[الطويل]

٤ ـ و مَـلْمُومَةٍ سَـعَيفِيَّةٍ رَبَـعِيَّةٍ ... يَصيح الحَصا فيها صِياحَ اللَّـقالِق[٢]

[الطويل]

٥ ـ و ألْقَى بِصَحراءِ الغَبِيطِ بَعَاعَهُ ... نُزولَ اليَماني ذو العِيَابِ المُحَمَّلِ[٣]

[الطويل]

٦ ـ لَيس التَّعلُّلُ بِـالآمالِ مِـن أرَبـي ... و لاَ الْقُنُوعُ بِضَنْكِ الْعَيشِ مِن شِيَمي[٤]

[البسيط]

فَصَاحَةُ الكَلامِ

فَصاحةُ الكَلامِ: سَلامَتُهُ بَعدَ فَصاحةِ مُفرداتِهِ مِمَّا يُبهِمُ معناه، و يَحولُ دونَ المرادِ منه[٥] ـ و تَتَحقَّقُ فصاحتُهُ بخُلوِّهِ مِن سِتَّةِ عُيوبٍ.

---

١. الثائر الذي لا يبقى على شيء حتّى يدرك ثأره.

٢. قائله المتنبي. ملمومة كتيبة مجتمعة. سيفية نسبة لسيف الدولة. ربعية نسبة إلى ربيعة قبيلته، اللقالق: جمع لقلقة و هي صوت اللقلاق (طائراً)، أو هي كل صوت فيه اضطرابٌ و حَركةٌ.

٣. قائله امرؤ القيس. الغبيط الأرض المطمئنة، و قيل الواسعة المستوية، يرفَعُ طرفاها البعاع ثقل السحاب من المطر، يقال بع السحاب يبع بعاً و بعاعاً، إذا ألح بمكان،و ألقى عليه باعه أي ثقله. العياب جمع عيبة و هي ما يجعل فيها الثياب يقال جعل الرجل خير متاعه في عيبته. و المحمل يروى بكسر الميم على جعل اليماني رجلاً، و بفتحها على جعله جملاً، و المعنى أن هذا المطر نزل بهذا المكان و لم يبرح كما نزل الرجل في ذلك الموضع، و ضمير ألقى يرجع إلى السحاب فيما قبله.

٤. القنوع المسألة: يقال قنع قنوعاً إذا سأل،و المراد القناعة.

٥. المراد بفصاحة الكلام تكوّنه من كلمات فصيحة يسهل على اللسان النطق بها لتآلفها، و يسهل على العقل فهمها لترتيب الفاظها وفق ترتيب المعاني.

←

١ ـ تَنافُرُ الْكَلماتِ مُجتمعةً، ٢ ـ ضعفُ التَأليفِ، ٣ ـ التَّعقيدُ اللَّفظيُّ، ٤ ـ التَّعقيدُ الْمَعنويُّ، ٥ ـ كثرةُ التَّكرارِ[1]، ٦ ـ تَتابُعُ الْإضافاتِ.

الاوَّلُ: تَنافُرُ الكَلِماتِ مُجتمعةً: أنْ تَكونَ الكَلِماتُ ثَقيلةً عَلَى السَّمعِ يَـلْزَمُ مِـن تَركيبِها مَعَ بَعضِها عُسْرةُ النُّطقِ بِها مُجتمِعَةً علَى اللِّسانِ (و إنْ كانَ كُلُّ جُزءٍ مِنه علَى انفِرادِهِ فَصيحاً).

و التَّنافُرُ يَحْصُلُ : إمَّا بِتَجاوُرِ كَلماتٍ مُتقارِبَةِ الحُروفِ،

و إمّا بِتَكريرِ كَلمةٍ واحدةٍ.

أ ـ و منه شَديدُ الثِّقلِ: كَالشَّطرِ الثّاني في قولِهِ: [الرجز]

وَ قَـــبْرُ حَـــرْبٍ بِـــمَكانٍ قَـــفْرُ وَ لَـيس قُـرْبَ قَـبرِ حَـربٍ قَـبْرُ[2]

ب ـ و منه خَفيفُ الثِّقلِ كالشَّطرِ الأوّلِ في قَول أبي تَمّام [الطويل]

← و مرجع ذلك إلى الذوق السليم و الإلمام بقواعد النحو، بحيث يكون واضح المعنى، سهل اللفظ، حسن السبك، و لذلك يجب أن تكون كل لفظة من ألفاظه واضحة الدلالة على المقصود منها. جارية على القياس الصرفي، عذبة سلسلة، كما يكون تركيب الكلمات جارياً على القواعد النحوية خالياً عن تنافُرِ الْكَلِماتِ مع بعضها، و من التعقيد فمرجع الفصاحة سواء في اللفظة المفرد. أو في الجمل المركبة إلى أمرين (مراعاة القواعد، والذوق السليم) و تختلف فصاحة الكلام أحياناً باختلاف التعبير عما يدور بالنفس من المعاني اختلافاً ظاهراً. فتجد في عبارات الأدباء من الحسن و الجودة ما لا تجد في تعبير غيرهم، مع اتحاد المعنى الذي يعبر عنه و يختلف الأدباء انفسهم في أساليبهم: فقد يعلو بعضهم في أسلوبه. فتراه يسيل رقة و عذوبة. و يصل إلى القلوب فيبلغ منها ما يشاء أن يبلغ. و ذلك نوع من البيان يكاد يكون سحراً، و قد يكون دون هذه المنزلة قليلاً أو كثيراً، و هو مع ذلك من فصيح القول و حسن البيان.

١. (كثرة التكرار و تتابع الإضافات) أقول الحق، إن هذين العيبين قد احترز عنهما بالتنافر.

على أن بعضهم أجازهما لوقوعهما في القرآن كما في قوله تعالى: ﴿و نفس و ما سواها﴾ الآيات، و في قوله تعالى: ﴿ذكر رحمة ربك عبده زكريا﴾.

٢. حرب بن أمية: قتله قائل هذا البيت، و هو هاتف من الجن صاح عليه (وقفر) خال من الماء و الكلا، و قبر اسم ليس مؤخر، و قرب خبرها مقدم، قيل إن هذا البيت لا يمكن إنشاده ثلاث مرات متوالية الا و يغلط المنشد فيه، لأن نفس اجتماع كلماته و قرب مخارج حروفها. يحدثان ثقلاً ظاهراً، مع أن كل كلمة منه لو أخذت وحدها ما كانت مستكرهةً و لا ثَقيلَةً.

كَرِيمٌ متى أمدَحْهُ أمْدَحْهُ و الوَرَى مَعي، و إذا مَا لُمْتُهُ لُمْتُه وَحْـدِي[1]

الثّاني: ضَعفُ التَّأليف: أنْ يَكونَ الْكلامُ جارياً على خِلافِ ما اشْتُهِرَ مِن قَوانينِ النَّحوِ المُعتبرةِ عِندَ جُمهورِ العُلماءِ: كَوَصلِ الضَّميرَين، و تَقديمِ غَيرِ الْأَعرَفِ مِنهما علَى الْأَعرَفِ مع أنَّه يَجبُ الْفَصلُ في تِلك الحالةِ، كَقَولِ المتنبي: [الكامل]

خَـلَتِ البَـلادُ مـن الغَـزَالةِ لَـيلَها فَأَعـاضَهاكَ اللّـهُ كَـيْ لا تَـحزنا

و كَالْإضمار قَبلَ ذِكرِ مَرجِعِهِ لَفظاً و رُتبةً و حُكماً في غير أبوابِهِ[2] نَحوُ: [الطويل]

و لو أنَّ مَـجداً أخـلَدَ الدَّهـرَ واحـداً مِنَ النّاسِ أبقىٰ مَجدُه الدَّهرَ (مُطعِما)[3]

الثّالث: التَّعقيدُ اللَّفظيُّ: هو كونُ الكلامِ خَفِيَّ الدَّلالةِ على المعنىَ المرادِ به، بِحَيثُ يكونُ الألفاظُ غَيرَ مُرتَّبةٍ على وِفقِ تَرتيبِ المَعاني.

(و يُنشَأُ ذلك التَّعقيدُ مِن تَقديمٍ أو تَأخيرٍ أو فَصلٍ بِأجنَبِيٍّ بَينَ الكَـلِماتِ الّـتي

---

١. أي هو كريم. و إذا مدحته وافقني الناس على مدحه. و يمدحونَهُ معي لإسداء إحسانه إليهم كإسدائـه إلي، و إذا لُمتُهُ، لا يوافقني أحد على لومه، لعدم وجود المقتضي للوم فيه، و آثر لُمتِهِ على هجوته مع أنه مقابل المدح إشارة إلى أنه لا يستحق الهجو و لو فرط منه شيء فإنما يلام عليه فقط والثقل في قوله: «أمدحه» لما بين الحاء والهاء من التنافر، للجمع بينهما. و هما من حروف الحلق، كما ذكره الصاحب إسماعيل بن عباد.

٢. المجموعة في قول بعضهم: [الرجز].

و مَـرجِـعُ الضَّـميرِ قـد تَأخَّـرا لفـظاً و رتـبةً و هـذا حَـصرا
فـي بـابِ نِـعْمَ و تَـنازعِ العـمل و مُـضمر الشأنِ و رُبَّ و البَـدل
و مُـبتدأ مُـفسّر بِـالخبر و بـابُ فـاعلٍ بِـخَلفٍ فـاخبر

و اعلم أن ضعف التأليف ناشيء من العدول عن المشهور إلى قول له صحة عند بعض أولي النظر، أما إذا خالف المجمع عليه كجر الفاعل و رفع المفعول ففاسد غير معتبر، و الكلام في (تركيب له صحة و اعتبار).

٣. فإن الضمير في (مَجدِهِ) راجع الى (مطعما) و هو متأخر في اللفظ كما يرى و في الرتبة لأنه مفعول بـه. فـالبيت غير فصيح لمخالفته قواعد النحو.

و مطعم أحد رؤساء المشركين، و كان يدافع عن النبيّ ﷺ.

و معنى البيت أنه لو كان مجد الإنسان سبباً لخلوده في هذه الدنيا لكان (مطعم بن عدي) أولى الناس بالخلود لأنه حاز من المجد ما لم يحزه غيره، على يد أصحاب الشريعة.

يَجبُ أنْ تَتجاورَ و يَتَّصلَ بَعضُها بِبَعضٍ)[١] و هو مَذمومٌ: لِأنّه يُوجبُ اخْتلالَ الْمَعنى و اضطرابَهُ، مِن وَضْعِ ألفاظِهِ في غَيرِ المَواضِعِ اللّائقةِ بِها كَقولِ المتنبي: [الكامل]

جَفَخَتْ وَ هُم لا يَجْفَخُونَ بها بِهِمْ شِيَمٌ علَى الْحَسبِ الأَغرّ دَلائلُ[٢]

أصلُهُ: جَفَخَتْ (افتخَرَتْ) بِهم شِيَمٌ دَلائلُ على الحسَبِ الأغرّ، و هم لا يَجفَخُونَ بها.

الرّابع: التَّعقيدُ المَعنويُّ: كَونُ التَّركيبِ خَفِيَّ الدَّلالةِ علَى المعنَى المُرادِ[٣] بِحيثُ لا يُفهَمُ مَعناه إلاّ بَعدَ عَناءٍ وَ تَفكيرٍ طَويلٍ.

وَ ذلك لِخَلَلٍ فِي انتقالِ الذِّهنِ مِنَ المَعنى الأصليِّ أي المَعنى المَقصودِ بِسَببِ إيرادِ اللّوازمِ البَعيدةِ، الْمفتقِرَةِ إلى وسائطَ كَثيرةٍ، مع عَدمِ ظُهورِ القَرائنِ الدّالةِ على الْمقصودِ: بِأنْ يَكونَ فَهمُ المَعنَى الثّاني مِن الأوّلِ بَعيداً عَنِ الْفَهمِ عُرفاً[٤]. كما في قَولِ عبّاسِ بنِ الأحنف: [الطويل]

سَأطلُبُ بُعْدَ الدّارِ عَنكم لِتَقربُوا و تَسكُبُ عَيناي الدُّموعَ لِتجْمُدَا[٥]

جَعَلَ سَكْبَ الدُّموعِ كِنايةً عمَّا يَلزمُ في فِراقِ الْأحبَّةِ من الحُزنِ و الْكَمَد،

---

١. و ذلك كالفصل بأجنبي بين الموصوف و الصفة، و بين البدل و المبدل منه و بين المبتدأ و الخبر، و بين المستثنى و المستثنى منه، ما يسبب ارتباكاً و اضطراباً شديداً.

٢. فلفظة جفخت مرة الطعم، و إذا مرت على السمع اقشعر منها. و لو استعمل (المتنبي) عوضاً عن جفخت (فخرت) لاستقام البيت، و حظي في استعماله بالأحسن.

٣. بحيث يعمد المتكلم إلى التعبير عن معنى فيستعمل فيه كلمات في غير معانيها الحقيقة، فيسيء اختيار الكلمات للمعنى الذي يريده، فيضطرب التعبير و يلتبس الأمر على السامع، نحو، نشر الملك ألسنته في المدينة، يريد جواسيسه و الصواب نشر عيونه.

٤. فالمناط في الصعوبة عدم الجريان على ما يتعاطاه أهل الذوق السليم، لا كثرة الوسائط الحسّيّة، فإنها قد تكثر من غير صعوبة، كما في قولهم: فلان كثير الرماد كناية عن المضياف، فإن الوسائط كثيرة فيه ولكن لا تعقيد.

٥. تسكب بالرفع عطف على أطلب، و بالنصب عطف على بعد: من قبيل عطف الفعل على اسم خالص من التأويل بالفعل. والمراد طلب استمرار السكب، لا أصله لئلا يلزم تحصيل الحاصل.

فَأحسنَ و أصابَ في ذلك، ولكِنَّه أخطَأَ في جَعْلِ جُمودِ العَينِ كِنايةً عمّا يـوجبُهُ التَّلاقي من الفَرحِ و السُّرُورِ بِقُربِ أحبّتِهِ، و هو خَفِيٌّ و بعيدٌ[1]، إذ لم يُعرَفْ في كلامِ العَربِ عند الدُّعاءِ لِشَخصٍ بالسُّرُورِ (أنْ يقالَ له جَمُدَتْ عَينُك) أو لا زالَتْ عَينُكَ جامِدَةً. بَلِ المَعروفُ عِندَهُمْ أنَّ جُمودَ الْعَينِ إنَّما يَكْنِى به عَن عَدَمِ البُكـاءِ حـالةَ الحُزنِ، كما فِي قولِ الخَنْسَاء: [المتقارب]

أعَـــينَيَّ جُـــودًا و لا تَـــمْجُدَا ألاَ تَـــبكيانِ لصَـــخْرِ النَّـــدى

وَ كَما فِي قَول أبي عطاءٍ يَرثي ابنَ هُبيرة: [الطويل]

ألاَ إنَّ عَيناً لم تُـجَدْ يَـومَ وَاسِـطٍ عَـليكَ بـجاري دَمـعُها لَـجُمودُ[2]

وَ هكَذا كُلُّ الكِناياتِ الّتي تَستعمِلُها العَربُ لِأغراضٍ و يُغَيِّرُهَا الْمُتكلمُ، وَ يريد بها أغراضاً أُخرىٰ تُعتبَرُ خروجاً عن سُننِ العَربِ فِـي اِسـتِعمالاتِهم، و يُـعدُّ ذلك تعقيداً فِي المَعنى، حَيثُ لا يكونُ المُرادُ بها واضِحاً.

الخامسُ : كَثرَةُ التَّكرارِ[3]: كَونُ اللَّفظِ الواحدِ ـ إسماً كان أو فِعلاً أو حَـرفاً ـ و

---

١. و وجه الخفاء و البعد: أن أصل معنى جمود العين جفافها من الدموع عند إرادتها منها، و الانتقال منه إلى حصول السرور بعيد لأنه يحتاج إلى وسائط. بأن ينتقل من جمود العين إلى انتفاء الدمع منها، حال إرادة البكاء، و منه إلى انتفاء الدمع مطلقاً، و منه إلى انتفاء الحزن و نحوه «فإن ذلك هو السبب غالباً في الدمع» و من انتفاء الحزن و نحوه إلى السرور، و لا يخفى أن الشاعر قد طوى وحذف جميع هذه الوسائط فأورث بطء الانتقال من المعنى الأصلي الحقيقي إلى المعنى المراد، و خالف حينئذٍ أسلوب البلغاء. فنشأ من ذلك التعقيد المعنوي. و اعلم أن الشاعر أراد أن يرضى بالبعد والفراق، و يعود نفسه على مقاساة الأحزان و الأشواق. و يتحمّل من أجلها حزناً يـفيض مـن عينيه الدموع. ليتوصل بذلك إلى وصل يدوم و مسرة لا تزول، على حد قول الشاعر: [الكامل].

و لطـــالما اخـــترت الفـــراق مـغالطاً و احتلت في استثمار غـرس و دادي

و رغـــبت عـن ذكـر الوصـال لأنـها تـبنى الأمـور عـلى خـلاف مـرادي

٢. أي لبخيلة بالدموع.

٣. المراد بالكثرة ههنا ما فوق الواحدة، فذكر الشيء ثانياً تكرار، و ذكره ثالثاً كـثرة. و انـما شـرطت الكـثرة لأن التكرار بلا كثرة لا يخلّ بالفصاحة، و إلا لقبح التوكيد اللفظي.

سواء كانَ الاِسمُ ظاهراً أو ضميراً، تَعدَّدَ مرَّةً بعدَ أُخرىٰ بغيرِ فائدةٍ كَقَولِهِ:

[الرجز]

إنّي و أسطارٍ سُطِرْنَ سَطرا لَقائلٌ يا نَصرُ نَصرُ نَصرَا

و كقول المتنبي: [البسيط]

أَقِلْ أَنِلْ أَقطِعْ اَجْمِلْ عُلَّ سُلَّ عِدْ زِدْ هَشَّ بَشَّ تَفضَّلْ أدْنِ سُرَّ صِلْ

و كقول أبي تمّام في المديح: [البسيط]

كَأنّه فِي اِجتماعِ الرُّوحِ فِيهِ لَهُ في كُلِّ جارِحَةٍ مِن جِسمِهِ رُوحُ

السّادسُ: تَتابُعُ الْإضافاتِ: كَونُ الاسمِ مُضافاً إضافةً مُتداخِلةً غالباً، كقول ابن بابك: [الطويل]

حمامَةَ جَرعا حَومَةِ الجَندَلِ اُسْجَعي فَأنتِ بمَرْأى مِنَ سُعادٍ و مَسمَعِ[1]

و مُلخَّصُ الْقَولِ: إنَّ فَصاحةَ الكلامِ تَكونُ بِخلُوِّهِ مِن تنافُرِ كَلماتِهِ و مِن ضَعفِ تَأليفِهِ، و تَعقيدِ مَعناه، و مِن وَضعِ ألفاظِهِ في غيرِ المَواضعِ اللاّئِقةِ بها.

تطبيق

بَيِّنِ العُيوبَ الّتي أخلَّتْ بِفصاحَةِ الْكلامِ فيما يأتي:

لَكَ الْخَيرُ غَيري رامَ مِن غيرِكَ الْغِنى و غَيري بِغيرِ اللاّذِقيَّةِ لاحِقُ

[الطويل]

---

١. ففيه إضافة حمامة إلى جرعا و هو تأنيث الأجرع و هو المكان ذو الحجارة السود، أو مكان الرمل الذي لا ينبت شيئاً «و جرعا» مضاف إلى «حومة» و هي معظم الشيء «و حومة» مضاف إلى «الجندل» بسكون النون و هو الحجر، و المراد به هنا مكان الحجارة، فهو بمعنى الجندل بفتح النون و كسر الدال، و قوله: فأنت بمرأى من سعاد و مسمع، أي أنت بحيث تراك سعاد و تسمع كلامك، يقول: اسجعي أرض قفرة سبخة، فإن سعاد تراك و تسمعك.

و أزورَّ مَـــن كـــانَ له زائـــراً ... و عـافَ عـافي العُـرفِ عِـرْفانُهُ[١]

[السريع]

أنّـــى يَكـــونُ أبَـــا البَـرايـا آدمُ ... وَ أبُـوكَ وَ الثَّـقَلانِ أنتَ مـحمدُ[٢]

[الكامل]

وَ مَن جاهِلٌ بِي و هُوَ يَجهَلُ جَهلَهُ ... و يَـجهلُ عِـلمي أنّـه بـي جـاهلُ

[الطويل]

و قَلقَلْتُ بِالْهَمِّ الذي قَلقَلَ الْحَشا ... قَـــلاقِلَ هَـــمٍّ كـلَّهنَّ قَـلاقلُ

[الطويل]

و ما مِثلُهُ فـي النـاس إلا مُـملّكاً ... أَبـــو أُمِّـــهِ حَـــيٌّ أبـوهُ يُـقارِبُهُ[٣]

[الطويل]

إلى مَـلَكٍ مـا أُمُّـهُ مِـن مُـحَارِب ... أبوهُ وَ لا كـانتْ كُـلَيْبٌ تُـصاهِرُهُ[٤]

[الطويل]

ليسَ إلاّكَ يـــا عَـــلِيُّ هُـمامٌ ... سَـــيفُهُ دُونَ عِـرضِهِ مَسـلولُ[٥]

[الخفيف]

---

١. العيب في تنافر الكلمات، و المعنى انحرف عنه من كان يزوره، و كره طالب الإحسان معرفته.

٢. يريد كيف يكون آدم أبا البرايا و أَبُوكَ محمد و أنت الثقلان أي الإنس و الجن. يعني أنه قد جمع ما في الخليقة من الفضل و الكمال، و قد فصل بين المبتدأ و الخبر و هما أبوك محمد. و قدم الخبر على المبتدأ تقديماً قد يدعو إلى اللبس في قوله: «والثقلان و أنت» على أنه بعد هذا التعسف لم يسلم كلامه من سخف و هذر.

٣. يريد الفرزدق مدح ابراهيم بن إسماعيل خال هشام بن عبدالملك، و ما مثله في النـاس حـي «أحـد» يُـقاربه «يشابهه» الا مملكاً، أبوه، فقدم المستثنى على المستثنى منه، و فصل بين مثل و حي و هما بدل و مبدل منه و بين أبو أمه و أبوه و هما مبتدأ و خبر، و بين حي و يقاربه و هما نعت و منعوت، و لا يفصل بين كل منهما بأجنبي. و المعنى: و ليس مثل ابراهيم في الناس أحد يشبه في الفضائل إلا ابن أخته هشام، فضمير أمه عائد على المملك، و ضمير أبوه عائد على إبراهيم الخال.

٤. يريد إلى ملك أبوه ليس أمه من محارب، أي ما أمه منهم.

٥. فيه ضعف تأليف حيث وضع الضمير المتصل بعد إلا، و حقه وضع المنفصل (إياك).

كَسا حِـلمُهُ ذَا الْـحِلمِ أثـوابَ سُـؤْدَدٍ ورَقَّى نِداهُ ذَا النَّدَى في ذُرا الْـمَجدِ[١]

[الطويل]

مَن يَهتدي في الفِعلِ ما لا يَهتدي في القَـولِ حَـتّى يَـفعلَ الشُّـعراءُ[٢]

[الكامل]

جَزَى بنوه أبـا الغَـيْلانِ عَـن كِـبَرٍ و حُسنَ فعلٍ كما يُـجزى سِـنِمَّارُ[٣]

[البسيط]

و ما مِن فتًى كُنّا مِن النّاسِ واحداً به نَـبتغي مِـنهم عَـديلاً نُـبادِلُهُ[٤]

[الطويل]

لمّـا رأى طـالبوه مُـصعباً ذُعِـروا وَكادَ لَوْ سـاعَدَ الْـمَقدورُ يَـنتصرُ

[البسيط]

نَشَرَ الْمَلكُ أَلْسِنَتَهُ في المدينةِ ... مُريداً جَواسيسَهُ.

أي: والصوابُ: نَشَرَ المِلكُ عُيونَهُ[٥].

لو كُنْتَ كنتَ كتَمْتَ السِّرَ كنْتَ كَما كُنّا وكُـنتَ و لكِـنْ ذاكَ لم يَكُـنْ

[البسيط]

ألا لَيتَ شِعرِي هَلْ يَـلُومَنَّ قَـومُهُ زُهيراً على ما جَرَّ مِن كـلِّ جـانبِ

[الطويل]

---

١. أي من كان ديدنه الحلم و الكرم حاز السيادة و الرفعة، فالضمير في حلمه لذا الحلم المذكور بعد، فهو المـتأخر لفظاً و معنى و حكماً، و كذا الضمير في نداء لذا الندى.

٢. أي يهتدي في الفعل ما لا يهتديه الشعراء في القول حتّى يفعل.

٣. العيب فيه من جهة أن ضمير بنوه عائد على أبا الغيلان و هو متأخرٌ لفظاً و رتبة: لأنه مفعول و رتبته التأخر عن الفاعل. و سنمار رجل رومي بنى قصر الخورنق بِظَهرِ الكوفة للنعمان بن امرىء القيس ملك الحيرة فلما فرغ منه ألْقاهُ النعمان من اعلاه فخر ميتاً لِئلّا يبني لغيره مثله.

٤. أي و ما من فتى من الناس كُنّا نبتغي واحداً منهم عديلاً نبادله به.

٥. لأن الذي يتوصل به إلى الأخبار عادة إنما هو العيون، لا الألسنة.

دانٍ بـعيدٍ مُـحِبٍّ مُـبغِضٍ بَـهِجٍ أغَـرَّ حُـلْوٍ مُـمِرٍّ لَـيِّنٍ شَـرِسِ[١]

[البسيط]

لَأنتَ أسودُ في عَينيَّ مِن الظُّلَمِ[٢]

تُسعِدُني فـي غَـمرةٍ بَـعدَ غَـمرةٍ سَبُوحٌ لها مِـنها عـليها شَـواهِـدُ[٣]

[الطويل]

و لَيستْ خُراسانَ الَّتي كـان خـالِدٌ بـها أسـدٌ إذْ كـانَ سَـيفاً أمـيرُها[٤]

[الطويل]

وَ الشَّمسُ طالِعةٌ لَـيستْ بِكـاسِفَةٍ تَبكي عليك نُجومَ الليلِ وَ الْقَمرا[٥]

[البسيط]

أرضٌ لهـا شَـرفٌ سِـواهـا مِـثلُها لو كانَ مِثلُكَ فـي سِـواهـا يُـوجَدُ

[الكامل]

وَ المَجدُ لا يَرضىٰ بِأن تَرضىٰ بِأنْ يَرضَى الْمَعاشرُ مِـنك إلاّ بِـالرِّضا

[الكامل]

في رَفعِ عَرشِ الشَّرعِ مِثلُكَ يَشْرعُ

[مشكور الكامل]

---

١. فيه توالي الصفات. و ذلك مما يحدث في الكلام ثقلاً. و هذا مما يؤخذ على (المتنبي).

٢. و القياس أشد سواداً لأنه لا ينبى أفعل التفضيل من الأفعال الدالة على الألوان.

٣. معنى البيت: و تسعدني بالفوز بالغنائم و النجاة في شدة بَعد شدة فرس سبوح أي حسنة العدو لا تتعب راكبها، فكانما تسبح على الماء.

٤. خالد و أسد: علمان، والتعقيد فيه نشأ من تقديم أسد الذي هو جزء مما أضيف إليه إذ.

٥. أي والشمس ليست بكاسفة نجوم الليل و هي تبكي عليك، و القمر يبكي عليك أيضاً، ففيه تعقيد نشأ من الفصل بين اللفظة التي هي كاسفة، و مفعولها الذي هو نجوم بجملة «تبكي عليك».

و مَن لم يَذُدْ عن حَوضِهِ بِسلاحِهِ يُهَدَّمُ و مَن لم يَظلِمِ النّاسَ يُظلَمُ[١]

[الطويل]

مَستحيَّرينَ فَباهِتٌ مُتَعجِّبٌ مِمَّا يَرى أو ناظرٌ مُتأمِّلُ[٢]

[الكامل]

فَأصبحَتْ بَعدَ خَطٍّ بَهجتِها كأنَّ قَفراً رسومها قَلَما[٣]

[المنسرح]

وَ ما أرضَى لِمُقلَتِهِ بِحلمٍ إذَا انتبهَتْ تَوهَّمَهُ ابْتِشاكا[٤]

[الوافر]

فَصاحةُ الْمُتكلِّم: عِبارةٌ عَن المَلَكَةِ[٥] الّتي يَقتَدِرُ بها صاحبُها على التَّعبيرِ عَنِ المَقصودِ بكلامٍ فَصيحٍ في أيِّ غَرَضٍ كانَ.

فَيَكونُ قادراً بِصفةِ الْفَصاحةِ الثّابتةِ في نَفسِهِ على صِياغَةِ الْكَلامِ مُتَمكِّناً من

---

١. فيه تعقيد معنوي حيث كنى بالظلم عن المحافظة على الحقوق، و هو بعيد.

٢. باهت بمعنى مدهوش لغة رديئة و اللفظ العربي المستعمل بهت الرجل فهو مبهوت.

٣. أي فَأصْبَحتْ بعد بهجتها قفراء كأن قلماً خط رسومها.

٤. المقلة العين، و الحلم الرؤيا التي يراها النائم، و الابتشاك الكذب.

قال الصاحب: لم يسمع الابتشاك في شعر قديم و لا محدث.

٥. أي كيفية وصفة من العلم راسخة و ثابتة في نفس صاحبها يكون قادراً بها على أن يعبر عن كل ما قصده من أي نوع من المعاني كالمدح و الذم و الرثاء و غير ذلك بكلام فصيح فإذا المراد على الاقتدار المذكور سواء وجد التعبير أو لم يوجد و أن من قدر على تأليف كلام فصيح في نوع واحد من تلك المعاني لم يكن فصيحاً، و أنه لا يكون فصيحاً إلا إذا كان ذا صفة من العلم راسخة فيه و هي المسماة «بالملكة» يقتدر بها على أن يعبر عن أي معنى قصده بكلام فصيح أي خال عن الخلل في مادته «و ذلك بعدم تنافر كلماته» و عن الخلل في تأليفه «و ذلك بعدم ضعف تأليفه» و عن الخلل في دلالته على المعنى التركيبي «و ذلك بعدم التعقد اللفظي و المعنوي» فإن كان شاعراً اتسع أمامه ميدان القول في جميع فنون الشعر، من نسيب و تشبيب و مديح و هجاء و وصف و رثاء و عتاب و اعتذار و أشباه ذلك، و إن كان ناثراً حاك الرسائل المحلاة، و الخطب الممتعة الموشاة، في الوعظ، و الإرشاد و الحفل، و الأعياد.

التَّصرفِ في ضُروبِهِ. بَصيراً بالْخَوضِ في جِهاتِهِ و مَنَاحِيهِ.

أسئِـلَـةٌ علَى الفَصاحَةِ يُطْلَبُ أجوبَتُها

ما هيَ الْفَصاحةُ لُغةً و اصطلاحاً؟ مَا الَّذي يُوصَفُ بِالفَصاحةِ؟
ما الَّذي يُخْرِجُ الْكَلِمَةَ عَن كَونِها فَصيحةً؟
ما هي فَصاحةُ الْمُفردِ؟ ما هو تَنافُرُ الحُروفِ، و إلى كَم يَنْقَسِمُ؟ ...
ما هيَ الْغَرابةُ و ما مُوجِبُها؟ ما هي مُخالَفةُ القِياسِ؟ ما هيَ الْكَراهَةُ فِي السَّمعِ؟ ما هي فَصاحةُ الْكلامِ ـ و بما تَتحقَّقُ؟ ما هو تَنافُرُ الْكَلماتِ، و ما مُوجبُهُ و إلى كم يَتنوَّعُ، ما هو ضَعفُ التَّأليفِ؟ ما هو التَّعقيدُ؟ و إلى كم يَنقسِمُ؟ ما هي كَثرةُ التَّكرارِ؟ ما هو تَتابُعُ الإضافاتِ؟ ما هي فَصاحةُ المُتكلِّمِ؟

البَـلاغَـةُ

البَلاغَةُ في اللُّغةِ (الوُصولُ وَ الانتِهاءُ) يُقالُ : بَلغَ فلانٌ مُرادَهُ ـ إذا وَصَلَ إليه، و بَلَغَ الرَّكبُ المَدينةَ، إذَا انْتهى إليها[1] و مَبْلَغُ الشَّيءِ مُنتهاهُ.

---

١. البلاغة هي تأدية المعنى الجليل واضحاً بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثر خلاب، مع ملاءمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه، و الأشخاص الذين يخاطبون. و البلاغة مأخوذة من قولهم بلغت الغاية إذا انتهيت إليها، و بلغتها غيرى، و المبالغة في الشيء الانتهاء الى غايته، فسميت البلاغة بَلاغَةً لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه و سُمِّيَتْ البلغة بلغة لأنك تتبلغ بها، فتنتهي بك الى ما فوقها، و هي البلاغ أيضاً و يقال: الدنيا بلاغ لأنها تؤديك إلى الآخرة و البلاغ أيضا التبليغ و منه هذا بلاغ للناس ـ أي تبليغ ـ و يقال بلغ الرجل بلاغة إذا صار بليغاً، كما يقال نبل الرجل نبالة إذا صار نبيلاً، قال أعرابي : البلاغة التقرب من البعيد، و التباعد من الكلفة: الدلالة بقليل على كثير، و قال عبدالحميد بن يحيى: البلاغة تقرير المعنى في الأفناء، من أقرب وجوه الكلام، و قال ابن المعتز: البلاغة البلوغ إلى المعنى و لم يطل سفر الكلام، و قال العتابي: البلاغة مد الكلام بمعانيه إذا قصر، و حسن ←

و بَلَغَ الرَّجلُ بَلاغةً فهو بَليغٌ: إذا أحسَنَ التَّعبيرَ عمّا في نفسِهِ.

و تَقعُ الْبَلاغةُ فِي الاِصطلاحِ وَ صفاً لِلكَلامِ، وَ الْمُتكلِّمِ فَقط.

و لا تُوصَفَ الْكَلمةُ بِالْبَلاغةِ، لِقُصورِها عَن الْوُصولِ بِالمُتكلِّمِ إلى غَرَضِهِ، و لِعَدمِ السَّماعِ بذلك.

بَلاغةُ الكَلامِ

البَلاغةُ فِي الكَلامِ: مُطابقتُهُ لِما يَقتضيهِ حالُ الْخطابِ[1]، مَعَ فَصاحةِ ألْفاظِهِ مُفرِدِها وَ مُركَّبِها.

وَ الكَلامُ البَليغُ: هُوَ الَّذي يُصوِّرُهُ المُتكلِّمُ بِصورةٍ تُناسِبُ أحوالَ الْمُخاطبينَ.

← التأليف إذا طال، و قال عبدالله بن المقفع: البلاغة لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في الإرشاد، ومنها ما يكون في الحديث و منها ما يكون في الاستماع، و منها ما يكون في الاحتجاج، و منها ما يكون شعراً، ومنها ما يكون ابتداء و منها ما يكون جواباً و منها ما يكون خطباً، و منها ما يكون رسائل. فعامة هذه الأبواب الوحي فيها و الإشارة إلى المعنى أبلغ، و الإيجاز هو البلاغة. فالسكوت يُسَمَّى بلاغة مجازاً، و هي في حالة لا ينجح فيها القول، و لا ينفع فيها إقامة الحجج إما عند جاهل لا يفهم الخطاب أو عند وضيع لا يرهب الجواب، أو ظالم سليط يحكم بالهوى، و لا يرتدع بكلمة التقوى و إذا كان الكلام يعرى من الخير، أو يجلب الشر فالسكوت أولى. و قال الرشيد: البلاغة التباعد من الإطالة، و التقرب من البغية و الدلالة بالقليل من اللفظ، على الكثير من المعنى قال أحد الأدباء: أبلغ الكلام ما حسن إيجازه، و قل مجازه و كثر إعجازه و تناسبت صدوره و أعجازه.

١. مقتضى الحال، هو ما يدعو إليه الأمر الواقع، أي ما يستلزمه مقام الكلام و أحوال المخاطب من التكلم على وجه مخصوص. و لن يطابق الحال إلا إذا كان وفق عقول المخاطبين، و اعتبار طبقاتهم في البلاغة، و قوتهم في البيان و المنطق، فللسوقة كلام لا يصلح غيره في موضعه، و الغرض الذي يبنى له، و لسراة القوم و الأمراء فن آخر لا يسد مسده سواه، من أجل ذلك كانت مراتب البلاغة متفاوتة، بقدر تفاوت الاعتبارات المقتضيات و بقدر رعايتها يرتفع شأن الكلام في الحسن و القبح، و يرتقي صعداً الى حيث تنقطع الاطماع، و تخور القوى، و يعجز الإنس و الجن أن يأتوا بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيراً، و تلك مرتبة الإعجاز التي تخرس عندها ألسن الفصحاء لو تاقت إلى العبارة: و قد عرف بالخبر المتواتر أن القرآن الكريم نزل في أوفى العصور فصاحة، و أجملها بلاغة. و لكنه سد السبل أمام العرب عندما صاح عليهم صيحة الحق ـ فوجفت قلوبهم، و خرست شقاشقهم، مع طول التحدي و شد النكير (و حقت للكتاب العزيز الكلمة العُلْيا).

و حالُ الْخِطابِ و يُسمّىٰ بِالمَقامِ هُوَ الْأمرُ الحامِلُ لِلمتكلّمِ على أن يُورِدَ عبارتَهُ على صُورةٍ مَخصوصةٍ دُونَ أُخرىٰ.

و المُقتَضىٰ و يسمَّى الاِعتبارُ الْمُناسِبُ هو الصُّورةُ الْمَخصوصَةُ الَّتي تُورِدُ عليها العبارةَ.

مَثلاً: المَدحُ حالٌ يَدعُو لِإيرادِ العبارةِ على صُورةِ الإطنابِ.

و ذَكاءُ المَخاطبِ حالٌ يَدعُو لإيرادِها على صورةِ الْإيجازِ.

فَكُلٌّ مِنَ الْمَدحِ و الذَّكاءِ حالٌ و مقامٌ.

و كلٌّ مِن الإطنابِ وَ الْإيجازِ مُقتضٌ.

و إيرادُ الْكَلامِ على صورةِ الْإطنابِ[1] أوِ الْإيجازِ مُطابَقةٌ لِلْمُقتضىٰ و لَيستِ الْبلاغةُ[2] إذاً مُنحصِرَةً في إيجادِ مَعانٍ جَليلةٍ، و لا في اخْتيارِ ألفاظٍ واضحةٍ جزيلةٍ. بَلْ هي تَتَناولُ مع هذَينِ الْأمرَينِ أمراً ثالثاً هو إيجادُ أساليبَ مُناسِبةٍ للتَّأليفِ بين تِلْكَ المَعاني و الألفاظِ ممّا يُكسِبُها قُوّةً و جَمالاً.

---

١. فإن اختلاف هذه الظروف يقتضي هيئة خصوصية من التعبير، و لكل مقام مقال، فعلى المتكلم ملاحظة المقام أو الحال: و هو الأمر الذي يدعوه إلى أن يورد كلامه على صورة خاصة تشاكل غرضه، و تلك الصورة الخاصة التي يورد عليها تُسمّى المقتضى، أو الاعتبار المناسب، فمثلاً الوعيد و الزجر و التهديد مقام يقتضي كون الكلام المورد فيه فخما جزلاً، و البشارة بالوعد، و استجلاب المودة، مقام يَطلُبُ رقيقَ الكلام و لطيفه، وَ الْوَعْظُ مقام يوجب البسط و الاطناب، و كون المخاطب عامياً سوقياً، أو أميراً شريفاً، يوجب الاتيان بما يناسب بيانه عقله.

٢. لأن البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع، فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك، مع صورة مقبولة، و معرض حسن، و إنما جعلنا حسن المعرض و قبول الصورة شرطاً في البلاغة، لأن الكلام إذا كانت عبارته رثة، و معرضه خلقاً، لم يسم بليغاً و إن كان مفهوم المعنى؛ مكشوف المغزى.

فعناصر البلاغة إذاً (لفظ و معنى، و تأليف للألفاظ)؛ يمنحها قوة و تأثيراً و حسناً. ثم دقة في اختيار الكلمات و الأساليب، على حسب مواطن الكلام و مواقعه، و موضوعاته و حال السامعين و النزعة النفسية التي تتملكهم و تسيطر على نفوسهم، فرب كلمة حسنت في موطن، ثم كانت مستكرهة في غيره، و رب كلام كان في نفسه حسناً خلاباً، حتّى إذا جاء في غير مكانه، و سقط في غير مسقطه، خرج عن حد البلاغة، و كان غرضاً لسهام الناقدين.

و مُلخَّصُ القَولِ: أنَّ الأمرَ الَّذي يَحملُ المتكلِّمُ على إيرادِ كَلامِهِ في صورةٍ دُونَ أُخرى: يُسمّى «حالاً» و إلقاءِ الْكَلامِ على هذه الصُّورةِ الَّتِي اقْتضاها الحالُ يُسمّى «مُقتضَى» و البَلاغةُ هيَ مُطابقةُ الكلامِ الفَصيحِ لِما يَقتضيهِ الْحالُ.

بَلاغَـةُ المُتَكـلِّمِ

بَلاغةُ المتكلّمِ: هي مَلَكةٌ فِي النَّفسِ[1] يَقتَدِرُ بها صاحِبُها على تَأليفِ كَلامٍ بَـليغٍ مُطابقٍ لِمُقتضَى الحالِ، مع فَصاحتِهِ في أيِّ معنى قَصَدَه.

و تِلكَ غايَةٌ لن يَصِلَ إليها إلاّ مَن أحاطَ بِأساليبِ العربِ خُبراً، و عَـرَفَ سُـننَ تَخاطُبِهِم في مُـنافراتِـهِم، و مـفاخراتِـهِم، و مـديحِهِم، و هِـجائِهِم، و شُكـرِهِم، و اعتذارِهِم؛ لِيَلْبِسَ لِكُلِّ حالةٍ لُبُوسَها، و لِكلِّ مَقامٍ مَقالٌ.

---

١. أي الهيئة و الصفة الراسخة الثابتة في نفس المتكلم يمكّنه بواسطتها أن يعبر عن المعاني التي يريد إفادتها لغيره بعبارات بليغة، أي مطابقة لحال الخطاب. فلو لم يكن ذا ملكة يقتدر بها على التصرف في أغراض الكلام و فنونه بقول رائع، و بيان بديع بالغاً من مخاطبه كل ما يريد، لم يكن بليغاً، و إذاً لا بد للبليغ: أولاً من التكفير في المعاني التي تجيش في نفسه، و هذه يجب أن تكون صادقة ذات قيمة، و قوة يظهر فيها أثر الابتكار و سلامة النظر و ذوق تنسيق المعاني و حسن ترتيبها، فإذا تم له ذلك عمد إلى الألفاظ الواضحة المؤثرة الملائمة، فألف بينها تأليفاً يكسبها جمالاً و قوة.

فالبلاغة ليست في اللفظ وحده، و ليست في المعنى وحده، و لكنها أثر لازم لسلامة تآلف هذين و حسن انسجامهما. و قد علم أن البلاغة أخص و الفصاحة أعم لأنها مأخوذة في تعريف البلاغة، و أن البلاغة يتوقف حصولها على أمرين، الأول: الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المقصود، و الثاني: تمييز الكلام الفصيح من غيره، لهذا كان للبلاغة درجات متفاوتة تعلو و تسفل في الكلام بنسبة ما تزاعى فيه مقتضيات الحال، و على مقدار جودة ما يستعمل فيه من الأساليب في التعبير و الصور البيانية و المحسنات البديعية و أعلى تلك الدرجات ما يقرب من حد الاعجاز، و أسفلها ما إذا غير الكلام عنه إلى ما هو دونه التحق عند البلغاء بأصواتِ الحيوانات العجم، و إن كان صحيح الإعراب و بين هذين الطرفين مراتب عديدة.

أَقوالُ ذَوي النُّبوغِ وَالْعَبقَرِيَّةِ فِي الْبَلاغةِ

١ ـ قال قُدامَةُ: البَلاغةُ ثلاثةُ مَذاهِبَ:

المُساواةُ: و هي مُطابَقةُ اللَّفظِ المَعنى، لا زائداً و لا ناقصاً.

و الإشارةُ: و هي أنْ يَكونَ اللَّفظُ كَاللَّمحَةِ الدّالَّةِ.

و التَّذييلُ: و هو إعادةُ الألفاظِ الْمُترادِفةِ عَلَى المَعنَى الواحدِ، لِيَظهرَ لِمَن لم يَفهَمْهُ، و يَتأكَّدَ عِندَ مَنْ فَهِمَهُ[١].

٢ ـ و قيلَ لِجَعفرِ بنِ يَحيى: ما البيانُ؟ فقال: أن يكونَ اللَّفظُ مُحيطاً بِمَعناك، كاشفاً عن مَغْزاكَ، و تَخرجُهُ مِن الشَّرِكَةِ، و لا تَستعينُ عليه بِطُولِ الْفِكرَةِ، و يَكونُ سالماً مِن التَّكلُّفِ، بعيداً مِن سُوءِ الصَّنعةِ، بريئاً من التعقيدِ، غَنيّاً عَنِ التَّأمُّلِ[٢].

٣ ـ وَ مِمّا قِيلَ في وَصفِ البَلاغةِ: لا يكونُ الكَلامُ يَستحِقُّ أسمَ البَلاغةِ حتّى يُسابِقَ معناهُ لَفظَهُ، و لَفظُهُ معناهُ، فَلا يكونُ لَفْظُهُ إلى سَمعِكَ أسبَقَ مِن مَعناه إلى قَلبِكَ[٣].

٤ ـ و سَألَ مُعاويةُ صُحاراً العَبديّ: ما البَلاغةُ؟ قال: أن تُجيبَ فَلا تُبطِىءَ، و تُصيبَ فلا تُخطِىءَ[٤].

٥ ـ و قال الفضلُ: قُلتُ لِأعرابيٍّ ما البَلاغةُ؟ قال: الإيجازُ في غيرِ عَجزٍ، و الإطنابُ في غيرِ خَطَلٍ[٥].

٦ ـ وَ سُئِلَ ابنُ المُقفَّع: ما البَلاغةُ؟ فقال: البَلاغةُ اسمٌ جامِعٌ لِمَعانٍ تَجري في

---

١. نهاية الأرب، جزء ٧، ص ٨.

٢. نهاية الأرب، جزء ٧، ص ٩.

٣. من كتاب البيان و التبيين للجاحظ، جزء ١، صحيفة ٩١.

٤. نهاية الأرب، جزء ٧، ص ٨.

٥. البيان و التبيين، جزء ١، صحيفة ٩١.

وُجوهٍ كثيرةٍ: فَمِنها ما يكونُ في السُّكوتِ، و منها ما يكونُ فِي الاِسْتِماعِ، و منها ما يكون فِي الْإشارةِ، و منها ما يكون فِي الحَديثِ، و منها ما يكون في الاِحتجاجِ، و منها ما يكونُ جَواباً، و منها ما يكونُ ابتداءً، و منها ما يكونُ شِعراً، و منها ما يكونُ سَجْعاً و خُطَباً، و منها ما يكونُ رَسائِلَ. فَعامَّةُ ما يكون من هذهِ الْأبوابِ ـ الْوَحيُ فيها، و الْإشارةُ إلىَ الْمَعنى، و الْإيجازُ هو البَلاغةُ.

فَأمَّا الْخُطَبُ بَينَ السِّمَاطَيْنِ، و في إصْلاحِ ذاتِ الْبَينِ، فَالْإكثارُ في غيرِ خَطَلٍ، وَ الْإطالَةُ في غَير إملالٍ. وَلْيَكُنْ في صَدرِ كَلامِكَ دليلٌ على حاجَتكَ فَقيلَ له: فَإنْ مَلَّ الْمُستَمِعَ الإطالةُ الَّتي ذَكرتَ أنّها حَقُّ ذلك المَوقفِ؟ قال: إذا أعطَيتَ كُلَّ مقامٍ حَقَّهُ، و قُمتَ بِالَّذي يَجبُ مِن سياسةِ ذلك المَقامِ، وَ أرضَيتَ مَن يَعرِفُ حُقوقَ الكَلامِ، فَلا تَهتَمَّ لِما فاتَكَ مِن رِضَا الْحاسِدِ وَ العَدُوِّ، فَإنَّه لا يُرضِيهما شَيءٌ. و أمَّا الْجاهلُ فَلَسْتَ منه، وَ لَيسَ مِنك. وَ قَد كان يُقالُ: «رِضاءُ النّاسِ شَيءٌ لا يُنَال»[1].

٧ ـ و لابنِ المعتزِّ: أبلَغُ الْكَلامِ: ما حَسُنَ إيجازُهُ، و قَلَّ مجَازُهُ، و كَثُرَ إعجازُهُ، و تَناسَبَتْ صُدورُهُ و إعجازُهُ[2].

٨ ـ وسَمعَ خالدُ بنُ صَفْوان رجلاً يَتكلَّمُ، و يُكثرُ الْكَلامُ.

فَقالَ: إعلَمْ ـ رحمك اللّه ـ أنَّ الْبَلاغةَ لَيستْ بِخِفَّةِ اللِّسانِ، و كَثرةِ الهَـذَيانِ، و لكنَّها بإصابةِ المعنىٰ، وَ الْقَصدِ إلى الحجَّةِ[3].

٩ ـ و لِبِشْرِ بنِ الْمُعتَمِرِ فيما يَجبُ أنْ يَكونَ عليه الخَطيبُ وَ الْكاتِبُ: رسالَةٌ مِن أنْفَسِ الرَّسائلِ الْأدبيَّةِ البَليغةِ، جَمعَتْ حُدودَ الْبَلاغةِ و صَوَّرَتْها أحْسَنَ تَصويرٍ.

و سَنَذكرُ مع شَيءٍ مِنِ الْإيجازِ ما يَتّصلُ منها بِمُوضوعِنا ـ قال:

---

١. البيان و التبيين، جزء ١، ص ٩١ و ٩٢.
٢. نهاية الأرب، جزء ٧، ص ١١.
٣. مختار العقد الفريد؛ ص ٩٨.

خُذْ مِن نَفسِكَ ساعَةَ نَشاطِكَ و فَراغَ بالِكَ و إجابتَها إيّاكَ فَإنَّ قَليلَ تلك السّاعةِ أكرَمُ جَوْهراً، و أشرفُ حَسَباً، و أَحسَنُ في الأسْماعِ و أحْلى في الصدورِ، و أسلَمُ مِن فاحِشِ الخَطَأِ، و أجلَبُ لكلِّ عَينٍ و غُرَّةٍ مِن لفظٍ شريفٍ، و مَعنىً بَديعٍ.

وَ اعْلَم أنَّ ذلك أجْدَى عليكَ ممّا يُعطيكَ يَومُكَ الأَطـوَلُ بِـالْكَدِ و المُـطاوَلَةِ و المُجاهَدَةِ، و بِالتَّكلُّفِ و المُعاوَدَةِ.

وإيّاكَ و التَّوَعُّرَ، فَإنَّ التَّوَعُّرَ يُسلِمُكَ إلى التَّعقيدِ، وَ التَّعقيدُ هُـوَ الَّـذي يَسـتهلِكُ مَعاينَكَ، و يَشينُ ألفاظَكَ، و مَن أرادَ مَعنىً كريماً فَلْيَلْتَمِسْ له لَفظاً كريماً، فإنَّ حَقَّ المَعنَى الشَّريفِ اللـفظُ الشَّـريفُ، و مِـن حَـقِّهِما أن تَـصُونَهُما عـمّا يُـفسِدُهُما و يُهَجِّنُهما....

و كُنْ في ثَلاثِ مَنازِلَ: فإنّ أَوْلَى الثَّلاثِ أنْ يكونَ لَفظُكَ رَشيقاً عَذْباً و فَـخماً سَهلاً، و يَكونُ مَعناكَ ظاهراً مَكشوفاً، و قَريباً مَعروفاً.

إمَّا عِند الخاصَّةِ: إنْ كُنتَ لِلْخاصَّةِ قَصَدْتَ، و إمّا عِندَ العامَّةِ: إنْ كُـنتَ لِـلْعامَّةِ أرَدْتَ، و الْمَعنى لَيس يَشرُفُ بِأنْ يكونَ مِن مَعاني الخاصَّةِ، و كَذلِكَ لَيس يَتَّضعُ بِأنْ يكونَ مِن مَعاني العامَّةِ، و إنَّما مَدارُ الشَّرفِ على الصَّوابِ، و إحرازِ الْـمَنفَعَةِ، مـع مُوافَقَةِ الحالِ، و ما يَجبُ لِكلِّ مَقامٍ مِن الْمَقالِ، و كذلك اللَّفظُ العامِّيُّ و الخاصِّيُّ؛ فإنْ أمكَنَكَ أنْ تَبْلُغَ مِن بَيانِ لِسانِكَ و بَلاغةِ قَلَمِكَ، و لُطفِ مَداخِلِكَ، وَ اقْتِدارِكَ عـلى نَفسِكَ ... على أنْ تُفهِمَ العامَّةَ مَعانِي الخاصّةِ، و تَكسوهَا الْألفاظَ الواسعةَ الّـتي لا تُلطَفُ عَنِ الدَّهْماءِ، و لا تَجْفُو عن الأكفاءِ، فَأنتَ الْبَليغُ التّامُّ.

فَإنْ كانَتِ الْمَنزلةُ الْأُولى لا تُواتِيكَ و لا تَعتَريك، و لا تَسنحُ لَكَ عِندَ أوّلِ نَظَرِكَ، و في أوّلِ تَكلُّفِكَ، و تَجدُ اللَّفظةَ لم تَقعْ مَوقِعَها، و لم تَصلْ إلى قَرارِها و إلى حقِّها مِنْ أماكِنِها المَقسومَةِ لها، وَ الْقافِيةَ لم تَحُلَّ في مركزِها و في نِصابِها، و لم تَصلْ بِشكلِها، و كانتْ قَلِقَةً في مَكانِها، نافِرةً مِن مَوضعِها، فَلا تُكرِهُها على اغْتصابِ الأماكنِ، وَ

النُّزولِ في غيرِ أَوْطانِها، فَإِنَّكَ إذا لم تَتعاطَ قَرضَ الشِّعرِ الْمَوزونِ، و لم تَتكَلَّفْ اختيارَ الكلامِ المَنثورِ، لم يَعِبْكَ بِتَركِ ذلك أحَدٌ. و إنْ أنتَ تَكلَّفتَهُ، و لم تَكُنْ حاذقاً مطبوعاً، و لا مُحكَماً لِسانك، بَصيراً بما عليك أو ما لك، عابَك مَن أنتَ أقلُّ عَيباً منه ورأى مَن هُوَ دونَك أنّه فَوقَكَ.

فَإنِ ابْتَلَيتَ بِأنْ تَتكلَّفَ القَولُ، و تَتعاطَى الصَّنعةُ، و لم تَسمَحْ لك الطِّباعُ في أوّلِ وَهلَةٍ، و تَعصّى عَلَيكَ بَعْدَ إحالَةِ الفِكرَةِ فلا تَعْجَلْ و لا تَضجَرْ، و دَعْهُ بَياضَ يومِك أو سَوادَ لَيلِك و عاوِدْهُ عِندَ نَشاطِكَ و فَراغِ بالِكَ، فإنَّكَ لا تَعدَمُ الإجابَةَ وَ المُواتاةَ، إنْ كانتَ هناك طَبيعةٌ، أو جَريتَ مِن الصَّناعةِ على عِرقٍ.

فَإنْ تَمْنَعْ عَليك بَعدَ ذلك مِن غيرِ حادثٍ شُغْلٌ عَرَضَ، و مِن غَيرِ طولِ إهمالٌ، فَالْمَنزِلةُ الثَّالِثةُ أنْ تَتحوَّلَ مِن هذه الصَّناعةِ إلى أشهَى الصّناعاتِ إليك، و أخفِّها عليك .... لِأنَّ النُّفوسَ لا تَجودُ بِمَكنونِها مَعَ الرَّغبةِ، و لا تَسمحُ بِمَخزونِها مَعَ الرَّهبةِ؛ كما تَجودُ بِهِ مَعَ الْمَحبَّةِ و الشَّهوَةِ. فَهكذا هذا.

و يَنبغي لِلْمُتكلِّمِ: أنْ يَعرِفَ أقدارَ الْمَعاني؛ و يُوازِنَ بَينَها و بَينَ أقدارِ الْمُستمعينَ، و بَينَ أقدارِ الْحالاتِ؛ فَيَجعلُ لِكلِّ طَبقةٍ مِن ذلك كَلاماً، و لكلِّ حالةٍ مِن ذلك مَقاماً حتّى يُقَسِّمَ أقدارَ الْكلامِ على أقدارِ المَعاني، و يُقَسِّمَ أقدارَ المَعاني على أقدارِ المَقاماتِ، و أقدارَ الْمُستمعينَ على أقدارِ تِلك الْحالاتِ.

وَ بَعدُ، فَأنتَ تَرى فيما قالُوهُ: أنَّ حَدَّ البَلاغةِ ـ هو أنْ تَجعلَ لِكُلِّ مَقامٍ مقالاً؛ فَتُوجزُ حيثُ يَحسُنُ الْإيجازُ، و تَطنبُ حيثُ يَجملُ الْإطنابُ، و تُؤكِّدُ في مَوضِعِ التَّوكيدِ، و تُقدّمُ أو تُؤخِّرَ، إذا رَأيتَ ذلِكَ أنسبَ لِقَولِكَ و أَوْفىٰ بِغَرضِكَ، و تُخاطِبُ الذَّكيَّ بِغَيرِ ما تُخاطِبُ بِهِ الْغَبيَّ، و تَجعلُ لِكُلِّ حالٍ ما يُناسبُها مِنَ القَولِ، في عبارةٍ فَصيحةٍ، و مَعنى مختارٍ.

ومِنْ هُنا عَرَّفَ العُلماءُ البَلاغةَ بِأنَّها مُطابَقةُ الْكلامِ لِمُقتضَى الْحالِ مع فَصاحةِ عباراتِهِ.

وَ اعْلَم: أنَّ الْفَرقَ بَينَ الْفَصاحةِ و الْبَلاغةِ: أنَّ الْفَصاحةَ مَقصورةٌ عـلى وَصـفِ الْألفاظِ، وَ البَلاغةَ لا تَكونُ إلاّ وَصفاً لِلْألفاظِ معَ المَعانيِّ؛ و أنَّ الْـفَصاحةَ تَكـونُ وَصفاً لِلْكَلِمَةِ وَ الْكَلامِ، و البَلاغةُ لا تَكونُ وصفاً لِلْكَلمةِ، بل تَكونُ لِلْكَلامِ؛ و أنَّ فَصاحةَ الْكَلامِ شرطٌ في بَلاغَتِهِ.

فَكُلُّ كَلامٍ بَليغٌ فَصيحٌ، و لَيس كُلُّ فَصيحٍ بَليغاً، كَالّذي يَقعُ فيهِ الْإسهابُ حِـينَ يَجبُ الْإيجازُ.

تمرينٌ

بَيِّنِ الْحالَ و مُقتضاهُ فيما يَلي:

١ ـ هَنَاءً مَحا ذَاكَ العَـزاءَ المُـقَدَّمَا فَما عَبَسَ المَحزونُ حتّى تَـبَسَّما[1]

[الطويل]

٢ ـ تَقولُ لِلرّاضي عَن إثارةِ الْحُروبِ إنَّ الْحَربَ مُتلِفَةٌ للعِبَادِ، ذَهَّابةٌ[2] بِالطّارفِ و التِّلادِ.

٣ ـ يَقولُ النّاسَ إذا رَأَوْا لِصًّا أو حَريقاً: لِصٌّ، حَريقٌ[3].

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَ أَنَّا لاَ نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِـي الأَرْضِ، أَمْ أَرَادَ بِـهِمْ رَبُّـهُمْ رَشَداً﴾[4] [الجن: ١٠].

---

١. الحال هنا هو تعجيل المسرة، و المقتضى هو تقديم الكلمة الدالة على السرور، و هي «كلمة هناء».

٢. الحال هنا هو إنكار الضرر من الحرب، و المقتضى هو توكيد الكلام.

٣. الحال هنا هو ضيق المقام، و المقتضى هو الاختصار بحذف المسندإليه و التقدير: هذا لص. هذا حريق.

٤. الحال في (أشرٌّ أُريدَ) هو عدم نسبة الشر إلى الله تعالى. و المقتضى هو حذف الفاعل، إذ الأصل، أشرّ أراده الله بمن في الأرض؟

و الحال في (أم أرادَ بِهم ربهم رشداً) هو نسبة الخير إلى الله تعالى، و المقتضى بقاء الفاعل من غير حذف «أي فعل ←

٥ ـ يَقولُ رائي البرَامِكَةِ:

أُصِبْتُ بسَادةٍ كانوا عُيوناً ... بِهم نُسْقَى إذَا انْقطَعَ الغَمَامُ[١]

[الوافر]

مُلاحِظاتٌ

١ ـ التَّنافُرُ: يُعرَفُ بِالذَّوْقِ السَّليمِ، وَ الْحِسِّ الصّادقِ[٢].

٢ ـ مُخالفةُ القِياسِ: تُعرَفُ بِعِلمِ الصَّرفِ.

٣ ـ ضَعفُ التَّأليفِ و التَّعقيدِ اللفظيَّنِ: يُعرَفانِ بِعلمِ النَّحوِ.

٤ ـ الغَرَابةُ: تُعرَفُ بِكَثْرَةِ الاِطِّلاعِ على كلامِ العَربِ، و الإحاطَةِ بِالْمُفرداتِ الْمَأنوسَةِ.

٥ ـ التَّعقيدُ الْمَعنويُّ: يُعرَفُ بِعِلمِ الْبَيانِ.

← الإرادة جاء مع الشر على صورة المبني للمجهول، و مع الرشد على صورة المبنيّ للمعلوم، و الحال الداعية إلى بناء الأول للمجهول (التأدب) في جانب الله تعالى بعدم نسبة الشر إليه صراحة، و إن كان الخير و الشر مما قدره الله تعالى و أراده».

١. الحال هنا هو الخوف من (الرشيد) ناكب البرامكة. و المقتضى حذف الفاعل من أصبت.

٢. الذوق: في اللغة الحاسة يدرك بها طعم المأكل، و في الاصطلاح، قوة غريزية لها اختصاص بإدراك لطائف الكلام و محاسنه الخفية، و تحصل بالمثابرة على الدرس، و ممارسة كلام أئمة الكتاب، و تكراره على السمع، و التفطن لخواص معانيه و تراكيبه، و أيضاً تحصل بتنزيه العقل و القلب عما يفسد الآداب و الأخلاق فإن ذلك من أقوى أسباب سلامة الذوق.

و اعلم أن (الذوق السليم) هو العمدة في معرفة حسن الكلمات و تمييز ما فيها من وجوه البشاعة و مظاهر الاستكراه، لأن الألفاظ أصوات، فالذي يطرب لصوت البلبل، و ينفر من صوت البوم و الغربان، ينبو سمعه عن الكلمة اذا كانت غريبة متنافرة الحروف، ألاترى أن كلمتي (المزنة و الديمة، للسحابة الممطرة) كلتاهما سهلة عذبة يَسكنُ إليها السمع، بخلاف كلمة (البعاق) التي في معناهما فإنها قبيحة تصك الأذن و أمثال ذلك كثير في مفردات اللغة تستطيع أن تدركه بذوقك، و قد سبق شرح ذلك.

٦ ـ الأحوالُ و مُقتضياتُها: تُعرَفُ بِعِلمِ المَعاني.

٧ ـ خُلوُّ الْكَلامِ مِن أَوجُهِ التَّحسينِ الَّتي تَكسُوهُ رِقةً و لَطافَةً بَعْدَ رِعَايَةِ مُطابقتِهِ: يُعرَفُ بِعلمِ الْبَديعِ.

فَإذاً وَجبَ عَلَى طالِبِ البَلاغةِ مَعرفةُ اللُّغةِ وَ الصَّـرفِ، وَ النَّـحوِ، وَ الْـمَعانِيِّ وَ الْبَيانِ، و البَديعِ، مع كَونِهِ سَليمَ الذَّوقِ، كَثيرَ الاِطِّلاعِ على كلامِ العَربِ، و صـاحبَ خِبرةٍ وافِرةٍ بِكُتُبِ الْأدبِ، و دِرَايَةٍ تامَّةٍ بِعاداتِهِمْ و أحوالِهِم، و اسْتظهارٍ لِلْجَيِّدِ الْفاخِرِ مِن نَثرِهِم و نَظمِهِم، و عِلمٍ كاملٍ بِالنّابغينَ مِن شُعراءٍ و خطباءٍ و كُتّابٍ مِمَّن لَهُمُ الْأثرُ الْبَيِّنُ فِي اللُّغةِ و الْفَضلُ الْأكبرُ علَى اللِّسانِ الْعَربِيِّ الْمُبينِ.

أسبابٌ وَ نَتائِجُ

يَحْسُنُ أيضاً بِطالبِ الْبَلاغة أنْ يَعْرِفَ شَيئاً عَنِ الْأُسلوبِ الَّـذي هـو المَـعنَى الْمَصُوغُ في ألفاظٍ مُؤَلَّفةٍ على صُورةٍ تَكونُ أقربَ لِنَيْلِ الْغَرضِ الْمَقصودِ مِنَ الكَلامِ، و أفعَلَ فِي نُفوسِ سامِعيهِ.

و أنواعُ الأساليبِ ثَلاثةٌ:

١ ـ الأسلوبُ الْعِلمِيُّ:

و هو أهْدَأُ الْأَساليبِ، و أكثرُهَا احْتياجاً إلى المَنطقِ السَّليمِ، وَ الْفِكرِ الْمُستقيمِ، و أبعدُها عَن الْخَيالِ الشِّعْرِيِّ؛ لِأَنَّهُ يُخاطبُ العَقلَ، و يُناجي الفِكرَ، و يَشْرَحُ الحقائقَ الْعِلميَّةَ الَّتي لا تَخلُو مِن غُموضٍ و خَفاءٍ، و أظْهَرُ ميزاتِ هذا الْأُسلوبِ: الوُضُوحُ. و لابُدَّ أنْ يَبدُوَ فيه أثرُ الْقُوَّةِ وَ الْجَمالِ؛ و قُوَّتُهُ في سُطوعِ بَيانِهِ، و رَصانَةِ حُجَجِهِ. و جَمالُهُ في سُهُولَةِ عباراتِهِ، و سَلامةُ الذَّوقِ فِي اخْتيارِ كَلماتِهِ، و حُسنُ تَقريرِهِ الْمَعنى

فِي الأفهامِ، مِن أقربِ وُجوهِ الْكَلامِ.

فَيَجبُ أن يُعْنَى فيه بِاختيارِ الألفاظِ الْواضِحَةِ الصَّريحةِ في مَعناهَا الْخاليةِ مِنَ الاِشْتراكِ، و أنْ تُؤَلَّفَ هذه الألفاظُ في سُهولةٍ و جَلاءٍ، حتّى تَكونَ نَوْباً شَفّافاً لِلمَعنىَ المَقصودِ، و حتّى لا تُصبحَ مَثَاراً لِلظُّنونِ، و مَجالاً للتَّوْجيهِ وَ التَّأويلِ.

و يَحسُنُ التَّنَحّي عَنِ الْمَجازِ، و مُحَسِّنَاتِ الْبَديعِ في هذَا الْأُسلوبِ، إلاّ ما يَجيءُ مِن ذلك عَفواً، مِن غير أنْ يَمَسَّ أصلاً من أُصولِهِ أو مَيزَةً مِن ميزاتِهِ.

أمَّا التَّشبيهُ الَّذي يُقصَدُ به تَقريبُ الْحقائقِ إلَى الْأفهامِ، و تَوْضيحُها بِذِكرِ مُماثِلِها، فَهُوَ في هذَا الْأُسلوبِ مَقبولٌ.

٢ ـ الأسلوبُ الأَدبِيُّ:

وَ الْجَمالُ أبرزُ صِفاتِهِ، و أظهرُ مُمَيِّزَاتِهِ و مَنْشَأُ جَمالِه، لِمَا فيه مِن خَيالٍ رائِعٍ، و تَصْويرٍ دَقيقٍ، و تَلَمُّسٍ لِوُجوهِ الشَّبهِ الْبَعيدةِ بَينَ الْأشياءِ، وَ إلْباسِ المَعنَويِّ ثَوبَ الْمَحسوسِ، و إظهارِ المَحسوسِ في صُورةِ الْمَعنَويِّ.

هذَا ـ و مِنَ السَّهْلِ عليك: أنْ تَعْرِفَ أنَّ الشِّعرَ و النَّثرَ الْفَنِّيَّ هُما مَوْطِنا هذا الأسلوب، ففيهما يَزْدَهِر، و فيهما قُنَّةُ الفَنِّ و الجَمالِ.

٣ ـ الأسلوبُ الخَطابِيّ:

هنا تَبْرُزُ قُوَّةُ الْمَعاني وَ الألفاظِ، و قُوّةُ الحُجَّةِ وَ البُرهانِ، و قُوّةُ العَقلِ الْخَصيبِ، و هنا يَتحدَّثُ الْخَطيبُ إلى إرادةِ سامِعِيهِ لِإثارةِ عَزائِمِهِم، و اسْتنهاضِ هِمَمِهِم، و لِجَمالِ هذا الأُسلوبِ و وُضوحِهِ، شَأنٌ كبيرٌ في تأثيرِهِ، و وُصولِهِ إلى قَرارةِ النُّفوسِ، و ممَّا يَزيدُ في تأثيرِ هذا الأسلوبِ، مَنزلةُ الْخَطيبِ في نُفوسِ سامِعِيهِ، و قُوَّةُ عارضَتِهِ، و سُطوعُ حُجَّتِهِ، و نَبراتُ صَوتِهِ، و حُسنُ إلقائِهِ، و مُحْكَمُ إشاراتِهِ.

و مِن أظهَرِ مُميّزاتِ هذا الأسلوبِ: التَّكرارُ وَ اسْتعمالُ الْمُترادفاتِ و ضَربُ

الأمثالِ، و اختيارُ الْكَلماتِ الجَزلَةِ ذاتِ الرَّنينِ.

و يَحسُنُ فيه أنْ تَتعاقبَ ضُروبُ التَّعبيرِ مِن إخبارٍ، إلى استفهامٍ، إلى تَعجُّبٍ، إلى استنكارٍ، و أن تَكونَ مَواطنُ الْوَقفِ كافيةً شافيةً، ثُمَّ واضِحةً قَوِيّةً.

و يَظنُّ النَّاشئونَ في صِناعةِ الأدبِ أنَّه كُلَّما كَثُرَ المَجازُ و كَثُرَتِ التَّشبيهاتُ، و الأخيلةُ، في هذا الأسلوب ـ زادَ حُسنُهُ.

و هذا خَطأٌ بَيِّنٌ؛ فَإنّه لا يَذهبُ بِجَمالِ هذا الأُسلوبِ أكثرُ مِـن التَّكـلّفِ، و لا يُفْسِدُهُ شَرٌّ من تَعَمُّدِ الصِّناعةِ.